

رهانات السمعي البصري في ظل مجتمع المعلومات

أ.الحاج أحمد كريمة

جامعة سيدي بلعباس

...في الماضي كان للنص استقلاليته فهو لا يظهر إلا نص وبوسيلة تنقل النص فقط وكان للصورة والصوت والرسوم والأفلام والموسيقى استقلاليته أيضا وكان لكل منها وسائطه الخاصة التي لا يشاركه فيها نموذج آخر للمعلومات، فكان الكتاب وكانت الصحيفة وكانت أشرطة السينما والفيديو والأقراص الليزرية حوامل تستخدم باستقلال تام ، وحين فرضت تقنيات المعلومات والاتصال نفسها أوجدت وسائط جديدة تملك القابلية لعملية دمج المعلومات المختلفة فصار الوسيط الوحيد قادرا على دمج النص والصوت والصورة والفيلم كما في شبكة الأنترنت ووصلنا إلى مفهوم جديد هو مفهوم المحتوى الرقمي الذي يمثل عملية الدمج هذه ، وصار للمحتوى الرقمي صناعته الخاصة .

فمع انتشار الأنترنت وازدياد استعمالها وسهولة الوصول إليها ارتفعت التوقعات الجدية التي تشير إلى أن الإعلام الجديد وتكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة تقدم وسيلة للتواصل يمكن الوثوق به¹ ويعني الإعلام الجديد كل أشكال التواصل القائمة على العالم الرقمي والمشتتة على النشر من خلال استعمال الأقراص المضغوطة والفيديو الرقمي والأنترنت وبالإعتماد على استعمال الحواسيب والشبكات اللاسلكية ، ومن جهة أخرى يعني الطرق الجديدة للتواصل في العالم الرقمي التي تمكن المجموعات الصغيرة من الأفراد من الاجتماع على شبكة الأنترنت واقتسام السلع والخدمات وبيعها وتبادلها ، إنها تسمح للأفراد بامتلاك صوت في مجتمعهم وفي العالم كما يستعمل تعبیر الإعلام الجديد في مواجهة وسائل الإعلام التقليدية التي تشير إلى أشكال التواصل السابقة على الإعلام الجديد وتشمل التلفزة ، المذياع ، الجرائد ، والأفلام ، المجالات والكتب²

فلقد شهدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على مدى العقود الماضية سلسلة من التحولات ، مما جعل أجيالها هي الأخرى تتسارع وأتاح الحديث في تأريخ مراحل تطور تكنولوجيات الإتصال عن مرحلة العصور الحجرية والحفريات ، فأجهزة الحاسوب من الجيل الأول مثلا والأدوات التي تستعملها الحواسيب الأولى مثل

¹محمد بن هلال ، الإعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية ، تحليل لأهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 396 ، لبنان ، فبراير ، 2012 ، ص 07 .

محمد بنهال ، المرجع نفسه ، ص 07 .²

الأشرطة الورقية ومكونات الذاكرة المغناطيسية أصبحت تبدو بمثابة الوسائط البدائية التي تحفظ حاليا في المتاحف تخليدا للذاكرة الإنسانية³

إن أبرز مظاهر عصرنا الراهن أنه عصر ثورة المعلومات والاتصالات ، هذه الثورة التي نمت في منتصف القرن الماضي ، خاصة مع نمو البث الإذاعي والتلفزيوني ثم تعاضمت مع نهايات ذلك القرن ، وكانت ثورة حقيقية تركت علامة فارقة في تاريخ الحضارة البشرية وتقدم الإنسان. وقد تميزت ثورة المعلومات هذه بظهور قنوات اتصال جديدة لاتعرف حدودا ولاحواجز ، فظهر البث الفضائي والإنترنت والاتصالات الفضائية حولت العالم إلى قرية إلى ما يشبه القرية الصغيرة ومكنت أي شخص من معرفة ما يجري على بعد آلاف الأميال منه وهو جالس في غرفته المغلقة أمام شاشة التلفزيون أو جهاز الكمبيوتر ، وهذه المستجدات جعلت العالم أمام صناعة جديدة ، إنها صناعة الإعلام وبما أن لكل سواء أكانت تنتج سلعة مادية أم فكرية أسس وعناصر ، فصناعة الإعلام تركز على أسس رئيسية وهي : الرسالة الإعلامية سواء كانت فكرة أو خبرا أو موضوعا وثانيا : العنصر البشري المتمثل في المرسل والمتلقي ثم الوسيلة التقنية التي سيتم من خلالها إيصال الرسالة الإعلامية من المرسل إلى المتلقي بهدف إشباع لرغبات المستهلك النهائي للسلعة المادية أو الفكرية⁴

فالإعلام أصبح عصب التطور في عصرنا الراهن شأنه شأن الزراعة والصناعة والثروات الباطنية ، وأصبح بذلك تطور المجتمع وازدهاره يعتمد على كمية المعلومات والتقنيات والموارد التي يمتلكها⁵ ومن هنا يبرز الدور الحقيقي لوسائل الاتصال السمعية البصرية ، إعلام سمعي بصري تتواجد فيه الأفكار يوميا وتتجاوز فيه الثقافات وتتعايش فيه اللغات ، إعلام سمعي بصري يتخيل بشكل إيجابي وبناء ، ويرصد مسالك المعرفة ومسارات الناس ، هاجسه البحث عن الحقيقة للتضليل والدخول في غياهب الظلمات.

وعلى الإعلام السمعي البصري خاصة في مجتمعاتنا العربية وفي وطننا بالتحديد أن يصنع لنفسه واقعا معاشا يكرس فيه مفهوم القرب من الآخر والتعدد والتنوع والحداثة والوحدة الوطنية والقيم الإيجابية ، وهذا لن يكون إلا من خلال برامج (خاصة التلفزيونية) ذات خدمات ووسائل إعلامية من شأنها أن تبث الخبر الإيجابي والمعلومة الصحيحة والمواكبة المستمرة للأحداث والوقائع وعبر المصاحبة الفعلية للتطور التكنولوجي والسياسي والإقتصادي والاجتماعي وإيجاد مساحات لكل الفئات العمرية ولكل التيارات الموجودة سواء كانت دينية أو سياسية أو إيديولوجية في خلق فضاء ممكن للتعبير والحوار.⁶

نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب³
العدد 265 ، 2001 ، ص 68 .

خلدون عبد الله ، الإعلام وعلم النفس ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2010 ، ص 63 .⁴

خلدون عبد الله ، المرجع نفسه ، ص 63 .⁵

عبد الصمد بن شريف ، صحفي بالقنات المغربية الثانية ، مدونة إلكترونية .⁶

فالإعلام السمعي البصري يحتل اليوم مكانة متميزة ضمن أدوات صناعة الرأي والتأثير على القنوات ، وعليه كان لزاما وضع إطار قانوني يلزم باحترام قانون أخلاقيات العمل الإعلامي والصحفي تقاديا لأي نوع من الانحرافات التي قد تؤدي بعدم السير الحسن للعمل الإعلامي والإبداعي ويمس بأمن وسلامة المتلقي والمجتمع ككل ، ومن أبرز ما يؤثر على المتلقي عبر وسائل الإعلام السمعية البصرية الصورة التي تشغل حيزا مهما من برنامج العمل التلفزيوني ، والصورة باعتبارها خطابا إعلاميا وأيقونيا تشمل وظيفته في الإتصال الذي يشمل الإقناع أو الإتصال الإقناعي والتأثير على المتلقي من خلال مجموع القيم والرموز والعادات التي يحملها هذا الخطاب باعتبار أن الصورة وخاصة التلفزيونية⁷ أصبحت تشكل نوع من الإستلاب الثقافي لها نتيجة احتكار هذه الأخيرة للانتباه وأحدثت الكثير من التأثيرات السلبية وذلك بتنمية حاسة التلقي والاستهلاك وتعطيل حاسة النقد⁸ فالإعلام كما يقول دومينيك فولتون هو النصر الحقيقي للقرن العشرين ، فالإعلام خاصة الإعلام السمعي البصري وبكل الإلتباسات التي يمكن تخيلها يمثل قيمة من القيم المركزية لمجتمعاتنا من الأكثر نبلا ومعيارية إلى الأكثر ابتذالا ووظيفة .

فثورة القرن 21 ليست ثورة الإعلام إنما هي ثورة التواصل والإتصالات ليست ثورة الرسالة إنما ثورة العلاقة ، ليست ثورة إنتاج الإعلام وتوزيع بواسطة تقنيات راقية متمثلة في الإذاعة أو التلفزيون أو الأنترنت إنما هي في شروط القبول أو الرفض من قبل ملايين المتلقين المتباينين ، والمتلقي هو الهدف الأساسي للرسالة الإعلامية لوسائل الإتصال السمعي البصري وغيرها من الوسائل ، وإذا تعقدت عملية التواصل يتعثر حتما الإعلام في وجه الآخر وفيما كان الإنسان يحلم بقرية كونية فقد يتكشف الواقع عن برج بابل من جديد⁹ ، إن ما يهمنا في تقنية الإتصال هي وسائل الإعلام والإتصال الجماهيري ومنها الوسائل السمعية البصرية ذات الآثار المختلفة في المجتمع ، لذلك فإن تقنيات الإتصال يعني التقنيات والمؤسسات والاساليب التي بواسطتها تنتج المعلومات وتعلب وتوزع على مستقبلين متفرقين فوق رقعة جغرافية ، وإذا نظرنا إلى تقنية الإتصال على أنها ترويج ل " أيديولوجيا بلا ضحايا " فإنه بإمكان أن يحدث إنقلاب فكري في هذا المجال يقتضي أن نختار عدوا آخرادية والثقافية والاجتماعية لذلك نجد أن الثورة التي حققها التلفزيون كمجال سمعي بصري تتمثل في الخصوص في وفرة البرامج المعروضة على المستخدم لهذه الوسيلة والتي وسعت مجال إختياره ، ويبدو هذا جليا في إنشاء قنوات خاصة في مختلف دول العالم وظهور قنوات المشاهدة - بالمقابل - والقنوات المتخصصة في مواضيع معينة وتشغيل الأقمار الصناعية للبث الإذاعي المباشر ، وهذا التيار قضى على نمط البث القديم وأصبح بإمكان المشاهد إختيار البرامج التي تتفق وذوقه¹⁰ بالإضافة إلى أنه مؤسسة سمعية بصرية لم يفقد بريقه أمام نواخذ الإعلام الجديد ما أعطاه أحقية لوجوده ووتريعه على العرش

خلدون عبد الله ، الإعلام وعلم النفس ، مرجع سبق ذكره ، ص 762

العرب والإعلام الفضائي ، مقدمة⁸

دومينيك فولتون ، الإعلام ليس تواصلا ، دار الفرابي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، ص 79⁹

مي عبد الله سنو ، العرب في مواجهة تكنولوجيا الإعلام والإتصال ، مرجع سبق ذكره ، ص 146¹⁰

، وهذا فعلا ما يتميز به التلفزيون كون تواجده في كل بيت ، بالإضافة إلى أن الصورة والمساحة البصرية التي يمنحها للمتلقى ، خاصة أن حاسة البصر عادة ما تكون هي الأقرب للكائن البشري في تحديد علاقته بالواقع وتفاعله معه ¹¹

فالإعلام السمعي البصري في الوقت الحالي أصبح إعلاما مشروطا بقواعد وضوابط تفرضها الدول والحكومات ، هذا ما سمح بالكثيرين في مجتمع المعلومات بالإستعانة بتقنيات الإعلام الجديد وذلك بالإستفادة من تقنيات المدونات حتى يعمل الأفراد في العالم وخاصة في العالم العربي على إنتاج صفحاتهم وأفكارهم ، وبالتالي هؤلاء الأفراد ليسوا صحفيون بالضرورة ولا يشعرون بضرورة احترام قواعد قانون الصحافة أو المدونات الأخلاقية للصحفيين ، وينشرون أعمالا لاتخضع للرقابة المسبقة لسلطات الإتصال وهم يعرفون بالصحفيين المواطنين ، وبالتالي هؤلاء المدونون يساهمون من خلال إستغلال ما تقدمه التكنولوجيا الرقمية الشخصية بمضمون متجدد وقوي ¹²

وفي هذا الصدد يقول ألفرد سميث : موردنا الأول اليوم هو المعلومات والمعرفة هي الثورة الأساسية للأمم والقاعدة الهامة لقوتهم ، إن الطريقة التي تتبادل بها الرسائل وتحدد مواقع المعلومات اليوم هي أساس الإقتصاد ¹³ إذا ليس المطلوب هو نقل التكنولوجيا وإنما أكتساب القدرة على المعارف والمهارات لتوطين التكنولوجيا الملائمة وجعلها متماشية مع متطلبات المجتمع واحتياجاته ، لذلك نقول أن دور التقنية الحديثة لا يتحقق على المستوى الإجتماعي خاصة إلا من خلال ما تقدمه من معلومات صحيحة وموضوعية ، تتكامل مع طموحات الناس من خلال ما تنتيحه لهم من مجالات التعبير عن آرائهم واتجاهاتهم واحتياجاتهم . ومما لا شك فيه أن تقنيات الإتصال الحديثة والمتمثلة في الإعلام الجديد قد ساهمت بدرجة كبيرة في الرفع من قدرات المنظمات والهيئات وبصفة عامة النشاط خاصة أولئك الذين تجاوزوا عقبة الهوة الرقمية أو الأمية الرقمية ، فوسائل الإتصال الجديدة ومن ضمنها تكنولوجيا الشبكات في الأنترنت وما تحويه من وسائل إتصال إجتماعية مثل : الفايسبوك والتويتر و اليوتيوب تخول للأفراد والمنظمات فرصة القيام بأنشطة متعددة كإنشاء المدونات أو الإنخراط في الشبكات الإجتماعية ويحول مستعملها إمكانية تخفيض تكلفة نشر الأخبار والأعمال وتمنح المواطنين الصحفيين مركزا مهما في مواجهة المؤسسات السمعية البصرية التقليدية القوية بشكل عام ¹⁴

2 الحبيب الغريبي ، الإعلام العربي المرئي في ظل الأحداث الكبرى ، العرب والإعلام الفضائي ، سلسلة كتب المستقبل العربي ، العدد 34 ، ، بيروت

2004 ، ص 113 .

محمد بنهال ، الإعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية ، تحليل لأهم النظريات والإتجاهات العالمية والعربية ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات¹²

الوحدة العربية ، العدد 396 ، لبنان ، 2012 ، ص 07

نصيف فهمي منقريوس ، الإتصال بين الجوانب الإنسانية والتكنولوجية المعاصرة ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة 2010 ، ص 234 .¹³
محمد بنهال ، مرجع سبق ذكره ، ص 20¹⁴

لهذا يرى بعض الباحثين أن الإعلام التقليدي وخاصة السمعى البصري المتمثل في الإذاعة والتلفزيون أصبح غير قادرا على الصمود أمام السلطة الخامسة (الإعلام الجديد) فالحاضر والمستقبل سيكونان تحت سيطرة السلطة الخامسة عبر المنافذ والمواقع الإلكترونية وهي التسمية التي أطلقت عللا آخر أجيال وسائل الإعلام المعاصرة في عصر الأنترنت ، إذ لم يعد للرقيب الإعلامى أي التدخل الحكومى أية سلطة على حظر نشر موادها لتكون في متناول المواطن أينما كان موقعه في العالم .¹⁵

وعودة للتلفزيون مثلا كوسيلة سمعية بصرية في نظر البعض لا يقدم المعرفة بالضرورة كون هذ الوسائل مرتبطة بمستويات أيديولوجية وتجارية وسياسية فضلا على مستويات أخرى¹⁶ لذلك فإن الفرد وجد في الإعلام الجديد متفلسا يفسح له مساحة معينة من الحرية والتعبير والتواصل باعتبار أن العصر الذي ننتمي إليه اليوم هو عصر العلاقة وليس التواصل في نظر دومينيك فولتون ، ومن جانب آخر فمجال السمعى البصري هو مشروع ثقافى وحضارى جدير بالاهتمام والمتابعة ، وهو مكسب للصحافة والإعلام ، لكن الإنخراط في هذا المجال الحساس لا يعفى أي طرف من تحمل المسؤولية المهنية والأخلاقية والحرص على الحفاظ على قيم الهوية الوطنية للمجتمع وترسيخ قيم الديمقراطية بكل ماتحمله هذه الكلمة من مفاهيم المواطنة والإنسانية وحرية التعبير واحترام الآخر والتسامح حتى يتشكل فعلا مشروعا ثقافيا وحضاريا جديرا بإرساء التفاعل والتواصل وتنمية الثقافة .

فاضل محمد البدراني ، الأخلاقيات والإعلام ، المستقبل العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 385 ، 2011 ، ص ص 62 ، 63¹⁵
مصطفى مجاهدي ، برامج التلفزيون الفضائي وتأثيرها في الجمهور ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2011 ، ص 45 .¹⁶
1 محمد بن هلال ، الإعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية ، تحليل لأهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية ، مجلة المستقبل العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 396 ، لبنان ، فبراير ، 2012 ، ص 07 .

